وقفة: مع المرأة

لعلك تتفق معي أيها القارئ الفاضل، أنه في الآونة الأخيرة ارتفعت الأصوات، وتتابعت النداءات، حول وضع المرأة في العالم المترامي الأطراف، فعقدت ندوات، وأقيمت مهرجانات ومسابقات، وكل يدّعي أن المرأة قد هُضم حقها، وأهدرت كرامتها، وكبتت حريتها، وأسقطت منزلتها،... ويردون ذلك إلى دين الله الإسلام، ويزعمون أن الإسلام هو الذي فعل كل ذلك بالمرأة، ونسوا وتناسوا، بل عموا وصمّوا، فالإسلام بريء مما يزعمون براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

فها هو القرآن الكريم ما زال بين يدي المسلمين، يتلون فيه قول الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣} [الحجرات: ١٣].

لقد عرض القرآن الكريم لكثير من شؤون المرأة، في أكثر من عشر سور منه، بل إن سورتين، عُرفت إحداهما بسورة النساء الكبرى، بينما عرفت الأخرى بسورة النساء الصغرى، وهي سورة الطلاق.

فضلاً عن ذلك، فإن القرآن كما أسلفتُ تعرض لشؤون المرأة في سورٍ عديدة، من ذلك سورة البقرة، وآل عمران، والمائدة، ومريم، والنور، والأحزاب، والمجادلة، والممتحنة، والتحريم، ومع ذلك يُعاب على الإسلام، فسبحان الله العظيم!

إن ما ورد من آيات في السور التي مرت معنا، لهو دليل قاطع، وبرهان ساطع، على مدى عناية الإسلام بالمرأة وحقوقها، والمكانة التي تنبغي لها، وهو ردّ يُلجم أفواه الكثير من الحاقدين على الإسلام

والمسلمين.

أيها الأحبة في الله، لقد منح الإسلام المرأة كل حق، وصانها من كل شرّ وعبث، وعن كل ما يخدش عفافها وحياءها، وقد اشتمل القرآن الكريم على الأحكام والآداب التي ترشد إلى حقوق المرأة ومنزلتها في الحياة.

وأول هاتيك الحقوق التي أقرها الإسلام للمرأة، هو الأصل الذي تفرّع منه الإنسان، إذ لا تفاضل بين المرأة والرجل من الناحية الإنسانية، فكلاهما لآدم.

ففي القرآن الكريم: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً} [النساء: ١].

وكذلك نجد كافة النصوص التي تتحدث عن الإحسان إلى الوالدين، لم تشر إطلاقًا إلى التفرقة، فالرجلُ والد، والمرأة والدة، والإحسان يكون لكليهما، قال تعالى: {وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا} [النساء: ٣٦].

بل والله يا أخي الحبيب، إنك لتُذهل من سماحة هذا الدين، وأنت ترى النبي صلى الله عليه وسلم يُقدم الأم على الأب، عندما سأله رجل عن أحق الناس بصحبته، فقال صلى الله عليه وسلم: **أمك**، قال الرجل: ثم من؟ قال: **أمك**، قال: ثم من؟ قال **أمك**، قال: ثم من؟ قال: **أبوك**، رواه البخاري ومسلم.

إن الذي يتهم الإسلام بالبعد عن مسايرة الحياة، إما أن يكون ممن تلقى أحكام الإسلام من مصادر زاغ كاتبوها عن لب الحقيقة، أو ربما يكون من الذين لم يكن لهم سبيل إلى معرفة حقيقة الإسلام، أو أنه ممّن أخذته العزة بالإثم، فرأى سماحة الإسلام، ولكن أبى أن ينظر بعين الإنصاف، وآثر أن ينظر بعين أصابها الحَوَل!

فيا أختاه، إن الإسلام معك، ولم يقوّض حقوقًا لك أبدًا، فمن ذا الذي يمنع المرأة أن تقوم بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ينكر دورة المرأة في الجهاد والغزوات، وكان ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويدل على ذلك الباب الذي عقده البخاري رحمه الله في صحيحه، وسمّاه، " خروج النساء مع الغزاة في سبيل الله "، وروى تحته من بطولات النساء العجب العجاب.

بل إن الإسلام لم يقف عند هذه الحد، فرفع من شأن المرأة، وقرر احترام رأيها فيما تبدو وجاهته، شأنها في ذلك شأن الرجل سواءً بسواء.

ولا أعلم، والله ورسوله أعلم، لا أعلم أحدًا من الفقهاء المسلمين، رأى أن النصوص الواردة في مباشرة التصرفات المالية خاصة بالرجال دون النساء.

فيا أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها الأخت الفاضلة، إن ما ورد من أحكام شرعية فيها اختلاف ما بين الرجل والمرأة، كالشهادة والميراث مثلاً، إنما هي أمور لها أحكامها وتفصيلاتها... وثوابت العمل بها أنها أحكام نصية، شرّعها الله تعالى، ومن تدبّر فيها يجد أنها تتفق مع الفطرة، والثوابت التشريعية في هذا الدين القويم، ويجدها محققة لسعادة المرأة التي كفل الإسلام لها حقوقها.

وثمة مسائل من الميراث يعرفها المتخصصون، ترث المرأة فيها نصيبًا أكثر من الرجل، كما إن المرأة مصانة في المجتمعات الإسلامية دون غيرها من المجتمعات، بفضل الله رب العالمين.

أجل يا أحبتي، لقد كرّم الله تعالى، المرأة أمًا، وبنتًا، وزوجةً، وأختًا، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال: ﴿النساء شقائق الرجال﴾، رواه أبو داود والترمذي.

فيا أيتها الأخت الفاضلة، لا عليك إلا أن تتمسكي بدينك، وأن تعضي عليه بالنواجذ، ولن تكوني إلا راضية بإذن الله رب العالمين.

إن السعادة يا أمَة الله، في اتّباع دين الله، والتمسك بالكتاب والسنة، وما يحويانه من أحكام، حيث إن المتمسك بالكتاب والسنة لمن أسعد الناس في الدنيا والآخرة، وإن الله على ذلك لشهيد.

اللهم أصلح شبابنا ونساءنا، يا ذا الجلال والإكرام، يا رب العالمين.

* * *